13-الربيعي محمد عبد الكريم، المعجمات العربية دراسة منهجية، دار الهدى، الطبعة الثانية، 2006، عين مليلة الجزائر، ص 60

14-فلوريان كولماس، اللغة والاقتصاد، ترجمة أحمد عوض، مراجعة عبد السلام رضوان، عالم المعرفة، الكويت، شعبان 1421/نوفمبر تشرين الثاني 2000،ص 331 .

15-زكريا أبو حمدية، المجامع اللغوية ودورها في تعزيز اللغات في التخطيط اللغوي، عالم الفكر، يوليو أغسطس 1982،ص 243.

16-فلوريان كولماس، اللغة والاقتصاد، ترجمة أحمد عوض، مراجعة عبد السلام رضوان، عالم المعرفة، الكويت، شعبان 1421/نوفمبر تشرين الثاني 2000، ص335 .

موقف الجابري من الرؤية الاستشراقية في الفلسفة الاسلامية

الدكتور زازوي موفق

جامعة تلمسان

مقدمة:

إن الناظر في كتابات المستشرقين حول الفلسفة الإسلامية كتشف أن ظاهرها قدم خدمات جليلة للفلسفة الإسلامية عجز عنها أهلها عن تقديمها والإلمام بها ، لكن حسب المفكر المغربي محمد عابد الجابري فان الغوص في باطن هذه الكتابات قد يفسح المجال للاطلاع على خلفياتها وبواعثها الأيديولوجية، هذه المعارفة الموجودة بين الظاهر والباطن تجعلنا نطرح الإشكالية التالية:

ما طبيعة الرؤية الاستشراقية للفلسفة الإسلامية؟

و ما موقف الجابري منها ؟

إن محاولة الإجابة عن هذه التساؤلات يتيح لنا الفرصة للتعرض للنقاط التالية:

1/ موقف الجيل الأول من مفكري العرب من الاستشراق الفلسفي.

2/ الاستشراق خلفياته ومكوناته الإيديولوجية .

أ-موقف الجيل الأول من مفكري العرب من الاستشراق:

يمكننا تحديد هذا الموقف في نقطتين أساسيتين:

دفاع عن الفلسفة/أو المهمة الدفاعية.

يرى الجابري أن كثير من مفكري العرب الذين تصدوا للدراسات الاستشراقية حول الفلسفة الإسلامية كان همهم في بادئ الامر دفاعي يكمن في

دفع ما ألصق بالعقل العربي (العقل السامي كما اطلق عليه رينان(renane) من تهم

ومن رد الاعتبار للفلسفة الإسلامية .أما ما عدا ذلك فكان موقفهم انبهاري.

ومن التهم التي كرست في الدراسات الاستشراقية أن :

- القران يعيق البحث والنظر العقلي الحر.
- إن طبيعة العرب (القومية) تميل إلى البساطة والتسليم بالأوهام والخرفات
- إن الفلسفة الإسلامية هي في أصلها فلسفة يونانية مكتوبة بأحرف عربية.يقول رينان "من الخطأ وسوء الدلالة بالألفاظ علي المعاني أن نطلق علي فلسفة اليونان المنقولة الى العربية لفظ فلسفة عربية مع أنه لم يظهر هذه الفلسفة في شبه جزيرة العرب مبادئ ولا مقدمات،فكل ما في الأمر أنها مكتوبة بلغة عربية."[1]
- إن العقل السامي عقل عاجز عن الإبداع والابتكار

يقول رينان :وهو احد المستشرقين المتعصبين

"إن العقل السامي لا طاقة له إلا على إدراك الجزئيات والمفردات منفصلا بعضها عن بعض ، أو مجتمعة في غير تناسب وإلا انسجام ولا تناسق ولا ارتباط ، فهو عقل مباعدة وتفريق لا جمع وتأليف أما العقل الآري فعلى عكس ذلك يؤلف بين الأشياء بوسائط تدريجية لا يتخطى واحدا منها إلى غيره إلا على سلم متدان الدرجات لا يكاد يحس التنقل فيه ، فهو عقل جمع ومزج".[2]

يفهم من هذا أن العقل السامي عقل بسيط ساذج غير مؤهل للتفكير الفلسفي فعبقرية هذا العقل تكمن في في النفحات الدينية (الإيمان).

ويؤكد رينان Larenanc هذا الكلام عندما يقول :

أنا يكون لنا أن نلمس عند الجنس السامي دروسا فلسفية ومن عجائب القدر ان هذا الجنس الذي استطاع إن يطبع ما ابتدعه من الأديان بطابع القوة في أسمى درجاتها لم ينتج أي اثر فلسفي خاص به وما كانت الفلسفة قط. عند الساميين إلا قياسا خارجيا ليس فيه كبير عناء وتقليدا للفلسفة اليونانية "[3]

و هذا يعني أن رينان يربط الفلسفة بالعقل على أساس أن الشعوب السامية شعوب لا تصلح بطبيعتها للنظر العقلي وإنما هي شعوب مفطورة على التدين والبساطة في اللغة والفن والشعر.

و يؤكد هذا الرأي المستشرق الألماني قولدزيهر ، فقد ذهب إلى أن العرب كانوا عاجزين عن إن يحملوا باستمرار مشعل العلوم والفنون وعن أن يقودوا الأمم الأخرى إلى الكمال الدائم، يؤكد هذا الكلام ديبور DE BORE.عندما يقول "لم يكن العقل السامي قبل اتصاله بالفلسفة اليونانية قمرات في الفلسفة وراء الأحاجي والأمثال الحكمية ،وكان هذا التفكير السامي يقوم على نظرات في شؤون الطبيعة متفرقة لا رباط بينها ،ويقوم بوجه خاص على النظر في حياة الإنسان وفي مصيره وإذا عرض للعقل السامي ما يعجز عن إدراكه لم يشق عليه أن يرده إلى إرادة الله التي لا يعجزها شيء والتي لا ندرك مداها ولا أسرارها"[4]

ومن تلامذة رينان المستشرق "ليون غوتيه" Leon Goutierالذي ذهب إلى ان العقلية العربية عقلية مفرقة في مقابل ما يسميه بالعقلية المجمعة أو الموحدة التي تميز الشعوب الآرية وهو يؤكد بالإضافة إلى ذلك أن الفكر الاري عقلاني تحليلي وان الفكر السامي غيبي" .[5]

مثل هذه المواقف هي التي أيقضت الضمير العربي والإسلامي للشرق على الهكمات والاستفزازات التي قدمها هؤلاء المستشرقين المتعصبين.

ومن أهم الدراسات التي تصدت لهذه المهمة الدفاعية كتاب الشيخ مصطفى عبد الرزاق [6] في كتابه "تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية "و كتاب الدكتور إبراهيم مذكور[7] في كتاب "الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق " وغيرها من الكتابات.

لقد كان الهدف من هذه المهمة الدفاعية إثبات أصالة الفلسفة الإسلامية ورد الاعتبار للعقل العربي على انه عقل قادر على الإبداع والابتكار.

1/الانبهارية:

لا يمكننا التنكر لما قدمه المستشرقون من مجهودات في نشر وتحقيق وبعث الكثير من الكتب التي كانت في طي النسيان.

يذكر لنا صاحب كتاب التمهيد ، الشيخ مصطفى عبد الرزاق قولا يثني فيه لما يقدمه الاستشراق فيقول :

"ولو لم يقيض الله الفلاسفة الإسلام جماعة من المستشرقين وقفوا عليهم بعد بحوثهم ودراساتهم لأصبحنا اليوم ونحن لا نعلم من أمرهم شيئا يذكر ".

ويذكر في قول أخر معترفا ومشيدا بدور المستشرقين وجهودهم عن يقول :"أما بعد فان الناظر فيما بذله الغربيون من مجهود في دراسة الفلسفة الإسلامية وتاريخها لا يسعه إلا الإعجاب بصبرهم ونشاطاتهم وسعة اطلاعهم وحسن طريقتهم .و إذا كنا الماعنا إلى نزوات .

-من الضعف الإنساني تشوب أحيانا جهودهم في خدمة العلم فانا نرجو ان يكون في تيقظ عواطف الخير في البشر وانسياقها إلى دعوة السلم العام والنزاهة العلمية

والإنصاف والتسامح مراعاة للتعاون بين الناس جميعا على خدمة العلم باعتباره نورا لا ينبغي أن يخالط صفاؤه كدر".[8]

ما نخلص اليه أن هؤلاء الذين اندفعوا الى الرد على ادعاءات بعض المستشرقين كانت دوافعهم الاولى اثبات أصالة الفلسفة الإسلامية وعرد الاعتبار للعقل السامي على انه عقل إبداعي ولذلك فان النظر إلى استشراف من الخارج هي التي دفعتهم الى ذلك .

و إن دراساتهم انما جاءت فقط لإبراز بعض الأخطاء التي ارتكبها المستشرقون بدافع التسرع في الحكم لعدم القدرة والإحاطة الشاملة بمؤلفات وكتب المسلمين. لكن المشكل يبقى قائما بالنسبة للفلسفة الاسلامية والمتمثل في نظرة الثقافة الاوروبية خاصة على صعيد المنهج والرؤية.

2/طبيعة الرؤية الاستشراقية ومكوناتها :

يرى الجابري أن المتأمل في باطن الدراسات الاستشراقية يفسح له المجال لقراءة خفايا وخبايا الاستشراق والمستشرقين . ولهذا يتعين أن يكون البحث منصبا على طبيعة الرؤية أو المنهج والتعرف على الخلفية التي تمكن وراءه وتبيان الأساس على هذه الدراسات الاستشراقية .

إن مفهوم الاستشراق يتحدد على انه توجه غير بريء فانه يحمل في طياته خلفية إيديولوجية ولذلك فان رواد الفكر العربي الأوائل تعاملوا مع الاستشراق بمناهج مستشرقين أنفسهم و لم يطرحوا بديلا لذلك .

ومن أهم المناهج:

1/ المنهج التاريخي:

إن الأمر الذي غاب - ب عن هؤلاء الذين هبوا بالرد على المستشرقين بأنباهم تهم أصالة الفلسفة الإسلامية تناسوا أن ل حقيقة جوهرية تخدم صالح الاوروبين فحواها أن المنهج الذي اقترحوه في ل الفلسفة الإسلامية هو نفسه منهج الغربيين في التاريخ للفلسفسفسفة الإسلامية والأن المنهج معناه الاستسلام إلى ما يعرف بالمركزية الأوروبية الحا ة التي تعتقد ان الفكر الي يعود إلى أصالته إلى الفكر اليوناني، وما الحضارة الإسلامية بهضمية الا مجرد حلقة ا انها مجرد حلقة انتقال سريعة إلى أوروبا متناسين دور الفلسفلفلسفة في الحضار لامية مدة أربعة قرون والتي كانت تمثل الحضارة الإنسانية في ية في ذلك الوقت.

ما يمكن قوله أن المر ا المركزية الأوروبية/ التي عملت على بناء تاريخ الفلسفة الأوروبية الذي اصبح ربح يقدم اليوم على تاريخ الفلسفة العالمي والإنساني ولذا فان الفلسفة الإسلامية يمية بالرغم من البه التي قدمت عنها من طرف المستشرقين إلا انها تبقى في حد ن حاجة الى الدراسة من ناحية التأريخ لها او من حيث إعلامها ونظرياتها لأنها لأنها حسب الجابري هي "الحلقة المفقودة في تاريخ الفكر الإنساني".[9]

و البحث فيها يسد سد الفراغ ويعيد اعتبار الحقيقي لها وبذلك يكون "توظيفها لتقوية خط الاستمرار ستمرارية في تاريخ الفكر الغربي وتدعم الحلقة الأضعف في هذا الخط، حلقة القرون الوسطى وسطى".[10]

2/ المنهج الفيلولوجي:

منهج استخدم من قبل المستشرقين في مجال تحقيق النصوص ونقدها وفي ما كان مغمورا منها.

لقد كان هدفهم البحث عن أصول للأفكار الفلسفية الأوروبية والتي مردها إلى اليونان و لم يحدث قط أن اعترفوا بفكرة ذات أصول غير أوروبية ولذلك فان الهدف من هذا المنهج رد كل الأجزاء الفلسفة الإسلامية إلى أصول يونانية أي (أوروبية) خدمة لنهر الفكر الأوروبي الخالد كما يقول الجابري. مبعدين عن ذلك الفلسفة الاسلامية عن حلقة الحضارة الانسانية ولهذا فان الشيء الذي نخلص إليه:

هو أن الهدف من هذا المنهج : إنكار قدرة الفيلسوف المسلم على الإبداع والإتيان بالجديد وكل ما جاء به هؤلاء الفلاسفة المسلمين إنما يعود إلى اليونان ومن جهة أخرى فانه يبرز ويكرس فكرة تفوق العرق الآري على العرق السامي .

3/ المنهج الفردي /الذاتي:

هذا المنهج يعمل على رفض فكرة الشمولية التي يكرسها المنهج التاريخي القائم على فكرة التقدم وادعائه التعاطف مع الشخصيات وتجاربهم حتى ولو كانوا يعيشون خارج الثقافة الأوروبية كالحلاج الذي حاول ما سنيون تقمص تجربته الصوفية. فانه حتى وإن بدأ ذلك فانه يتمرد في حقيقة الامر على حاضر إطاره الأوروبي فانه في الحقيقة "يتمسك بماضيه فيعيشه رومانسيا عبر تجربة هذه الشخصية التي يجد فيها تعويضا عن الروحانية التي افتقدها الثقافة الأوروبية المعاصرة »[11].

و هذا يعني انه يتقمصها على انه صاحبها فيحاول بذلك استعادة روحانيا الغرب التي فقدت جراء الحضارة المادية، مما لدى الشرق . وهذا هو الاستيلاء الاستلاب بعينه. إن الشيء الذي نخلص إليه من تطبيق هذا المنهج يكمن في جعل الفلسفة الإشراقية هي الأصل لحقائق النبوة في الإسلام وبالتالي إبعاد كل تفكير فلسفي إسلامي عن أصوله الحقيقية وربطه بأصول غير إسلامية.

خلاصة:

ما نخلص إليه من ذلك أن الرؤية الاستشراقية للفلسفة الإسلامية غير بريئة فهي ترتبط بإيديولوجية أوروبية والمتمثلة في المركزية الاوربية والتي تتلخص في المناهج التي اصطنعوها في دراساتهم والتي تربط الفكر الأوروبي بالفكر اليوناني متجاوزين ورافضين لحلقة من حلقات الحضارة الإنسانية وهي الفلسفة الإسلامية .ولذلك فان الجابري يفتح المجال لدراسة هذه الفلسفة من خلال ابداع منهج قائم على تحقيق الموضوعية والعقلانية النقدية، فيكون بذلك قادرا على رد الاعتبار للفلسفة الإسلامية والى الدور الذي قدمته للحضارة الانسانية عامة. وعندها نجد في التاريخ الانساني العالمي.

المصادر والمراجع:

1-الشيخ مصطفى عبد الرازق ،تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ، دار الثقافة الدينية، ط1 2005،القاهرة. نقلا عن :

Ernest renane، averroes et l'averroïsme ،8eme édition، 1925، p7-8.

2- الجابري،التراث والحداثة،دراسات ومناقشات،المركز الثقافي العربي ، ط 1 ،1991 بيروت،ص 70 .نقلا عن:

leon Gautier، l'esprit sémantique l'esprit aryan paris 1923،p66-67.)

3-Ernest renane، Averroès et l'averroïsme ،8eme édition، 1925، pp7-8

4- عبد الرحمان بدوي ،اصالة الفكر العربي ،ديوان المطبوعات الجامعية في الجزائر ،ص 5 نقلا عن :

Leon Goutier، introduction à l'étude de la philosophie musulmane، p

6- دي بور ،تاريخ الفلسفة في الاسلام ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريدة ،دار النهضة العربية بيروت ،بدون تاريخ ،ص 53.

7- الشيخ مصطفى عبد الرازق ،تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ، دار الثقافة الدينية، ط1 2005،القاهرة.

8- إبراهيم مدكور ،في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق ،سيريكو للطباعة والنشر ،ط2 ،بدون تاريخ ،جزء 1 ،القاهرة .

9- مصطفى عبد الرزاق ،المرجع نفسه ،ص31.

10- الجابري ،المرجع السابق ،ص 71.

11- الجابري ،المرجع نفسه ،ص 72.

12- الجابري ،المرجع نفسه ،ص77.